وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل _ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

صورة المرأة في ديوان الحماسة لابي تمام الطائي

بحث تقدمت به الطالبة (تبارك علي فخري عبث)

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية

إشراف

أ.م.د مازن داود الربيعي

١٤٤٥ هـ
٢٠٢٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب)

سورة الطلاق الايه (٢_٣)

صدق الله العظيم

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي ما نجحنا وما علونا ولا تفوقنا إلا برضاه الحمد لله الذي ما اجتزنا دربًا ولا تخطينا جُهدًا إلا بفضله وإليه يُنسب الفضل والكمال والإكمال .

(وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين)

إلى من رفعتُ رأسي عاليًا إفتخارًا به ، إلى الرجل الوحيد في حياتي (والدي العزيز)

الى من أضاءت لي طريقي بنبع الحنان (والدتي الغالية)

إلى السند والعضد والساعد إخواني وأخواتي أزفُّ لكم الإهداء حُبًا ورفعةً وكرامةً

إلى دكتوري الفاضل / مازن داود سالم الربيعي ، منك تعلمت أن للنجاح قيمةً ومعنى ومنك تعلمت الاخلاص في العمل ومنك آمنت أن لا مستحيل في سبيل الابداع والرقي

إلى من أرادوا بنا الكسر فجعلهم الله جسرًا لنعبر به للافضل.

لم تكن الرحلة قصيرة ولم تكن الأمور ميسّرة ، ولكن بعون الله فعلتها .

شكر وتقدير

أتقدم بكل آيات الشكر والعرفان الى أساتذة جامعة بابل
اساتذتنا الأجلاء شكرًا وعرفانًا لما قدموا من جهد في سنوات الدراسة
والشكر موصول الى
أ.م.د مازن داود سالم الربيعي
لما بذل من جهد في إخراج هذا البحث

المحتويات

ت	اسم الموضوع	رقم الصفحة
١	الآية	أ
٢	الإهداء	ب
٣	الشكر والتقدير	ج
٤	المحتويات	د
٥	المقدمة	١
٦	التمهيد	٣
٧	الفصل الاول (المرأة الحبيبة)	٦
٨	الفصل الثاني (المرأة الأم)	١٤
٩	الفصل الثالث (المرأة الرمز)	١٦
١٠	الفصل الرابع (المرأة الأخت)	١٨

١١	الفصل الخامس (المرأة الزوجة المرأة الغانية)	٢١_٢٥
١٢	الخاتمة	٢٦
١٣	المصادر والمراجع	٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اما بعد.... فتراث كل امه هو ركيزة حضارتها وجذورها الممتده في باطن التاريخ

وإن البحث في هذا التراث واستنباط المضامين الفكرية والروحية والإنسانية هي مهمه الباحثين والدارسين للتراث الادبي . ومن هذا التراث كتاب (ديوان الحماسة)لابي تمام

ولكن لماذا شعر المرأة ؟ ولماذا ديوان الحماسة ؟ لعل الإجابة تكمن في اسباب اختيار هذا الموضوع ودافعي اليه وهي كالآتي :

اولًا : ما حفل به التراث من انماط مختلفة من الاختيارات والمجموعات الشعرية والتي نظر اليها على انها مجاميع شعرية يرجع اليها الدارسون للتحقيق من رواية بيت او شاهد لغوي ، ولم ينظر اليها على انها باختياراتها وترتيبها ذات طابع ادبي وفكري تثير كثيرا من القضايا والرؤى والاطروحات .

ثانياً : ما أنتابني من احساس عند مطالعه نماذج اشعار المرأة في ديوان الحماسة من ان هناك رؤيه شمولية لابداع المرأة ورصد معاناتها ومشاعرها فهي اشعار ذات بُعد انساني خاص تجاوز بها الجامع حدود التدوين والتجميع فكلمه ديوان ذات دلالتين مختلفتين ولكن بينهما تكامل فهي في الاولى تشير الى العمل الابداعي خاصة الشعر وفي الاخرى الى نسق محدد في الترتيب والتبويب .

ثالثًا : أن صورة المرأة في الجاهلية تحيط بها هاله من الضبابية حيث تعمل على تحقير المرأة واعتبارها أداه في يد الرجل رهينه في بيته لا تملك من امرها شيئا ولكننا في هذه الدراسة المتواضعة نحاول ان نؤكد ان المرأة هي المرأة في كل زمان ومكان ولان الشعر ديوان العرب ووسيله من وسائل التواصل الاجتماعي مع ذلك العصر البعيد كان لابد من الرجوع الى الشعر للتعرف على الصوره الحقيقية للمرأة في بلاد العرب .

رابعًا : ان ابا تمام اختار بعض نماذجه من اشعار النساء فكان اولا في هذا الاختيار حتى زمانه فهو بما اختار من شعر المرأة ووضعه في مؤلفه _ديوان الحماسة_ صاحب رؤيه خاصة وبُعد فني ورسالة انسانية يفتح امامنا الباب لدراسته.

واستخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على الخطوات التالية :

اولًا : تتبع شعر المرأة في ديوان الحماسة واستقصاء النصوص

ثانيًا : انتقاء النصوص ذات البعد الفني والتي تخدم اغراض البحث وتقسيمه الموضوعي

ثالثًا :تحليل النصوص تحليلاً فنيًا من خلال الابعاد النقدية والأدبية من الظواهر اللغوية الأسلوبية والتصوير الادبي والموسيقى الشعرية

الخطة :

اقتضت طبيعة البحث ان ينقسم الى خمسة فصول بعد المقدمة كالآتي :

الفصل الاول : المرأة الحبيبة

الفصل الثاني : المرأة الأُم

الفصل الثالث: المرأة الرمز

الفصل الرابع : المرأة الاخت

الفصل الخامس : ينقسم الى فرعين أ_ المرأة الزوجة ب_ المرأة الغانية

مع بعض الملاحظات على تلك الاشعار وبعض السمات الخلقية في هذا الشعر اضافه الى الدراسات الفنية التحليلية التي تضمنت الابيات الموجودة بما فيها من الفاظ وتراكيب وعلاقتهما بالتجربة الشعرية والعاطفة اضافةً الى الاسلوب وتنوعه بين الخبر والانشاء والخطاب والغيبة وكذلك من الظواهر مناسبة اللفظ للمعنى المراد مع ابراز بعض الاساليب كاسلوب القصص او الحكم واستخدام المثل او الحكمة وكذلك من الظواهر التضاد الفني والتكرار مدعمه كل ذلك بنماذج توثق تلك النقاط وتبرز الرؤى النفسية وانعكاسها على العملية الإبداعية . اما بالنسبه للموسيقى الشعرية تحدثت فيها عن الموسيقى الخارجية المتمثلة في الوزن والقافية ثم الموسيقى الداخلية والخفية ولها عده صور منها مناسبه اللفظ للمعنى والمحسنات البديعية والمشتقات وسهوله اللفظ وعذوبته

وينتهي هذا البحث بخاتمه تبين ما توصل اليه البحث من نتائج

ثم المصادر والمراجع

التمهيد : حياة الشاعر ابو تمام الطائي

صفاته ونشأته :

أَبُو تَمَّامْ حَبِيبْ بْنْ أَوْسْ بْنْ اَلْحَارِثْ اَلطَّائِيّ (١٨٨ – ٢٣١ هـ / ٨٠٣-٨٤٥م)، أحد أمراء البيان ولد في جاسم من قرى حوران (في سوريا حالياً) أيام الرشيد، وكان أولا حدثا يسقي الماء بمصر، ثم جالس الأدباء، وأخذ عنهم وكان يتوقد ذكاء. وسحت قريحته بالنظم البديع. فسمع به المعتصم، فطلبه، وقدمه على الشعراء، وله فيه قصائد. وكان يوصف بطيب الأخلاق والظرف والسماحة. وقيل: قدم في زي الأعراب، فجلس إلى حلقة من الشعراء، وطلب منهم أن يسمعوا من نظمه، فشاع وذاع وخضعوا له. وصار من أمره ما صار(١) .

ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها.

كان أسمراً، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. وفي أخبار أبي تمام للصولي: «أنه كان أجش الصوت يصطحب راوية له حسن الصوت فينشد شعره بين يدي الخلفاء والأمراء».

في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري، له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل، نُسِبَ إليه ولعله للأصمعي كما يرى الميمني.

عندما ترعرع أبو تمام سافر إلى مصر فكان يسقي الماء ارتحل في سبيل المعرفة من الشام إلى مصر وتردد على مسجد الفسطاط حيث حلقات العلم مكتظة بالدارسين يستمعون إلى الشيوخ الذين يلقون الدروس في اللغة والنحو والفقه والأدب وعلوم الدين بجامع عمرو ويستقي من أدب العلماء والشعراء. حفظ الشعر منذ طفولته وصار يقلد الشعراء حتى أبدع في هذا المجال وتفرد فيه بعبقرية نادرة فأصبح شاعراً مطبوعا لطيف الفطنة دقيق المعنى له استخراجات عجائبية ومعان غريبة .

أسرة أبي تمام:

قلّت الأخبار التي طالت أسرة أبي تمّام وأهله، إلّا أنّ مما كان منها مرثية وجدت بين مراثيه كان قد كتبها في زوجة له، ويظهر أنَّ له بنون مختلفون إذ احتُسب منهم اثنين كان له فيهما رثاءً مؤثراً، ويُقال إنّ أخاً له كان اسمه سهماً، وكان يجري على لسانه شعرٌ ضعيف.(٢)

١_ سير أعلام النبلاء الطبعة الثانية عشر _ ابو تمام _

٢_ تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) الدكتور شوقي ضيف

مؤلفاته :

فحول الشعراء، و ديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل وديوان شعره.

ويعد أبو تمام من أوائل الشعراء الذين ساروا في ركاب التجديد في العصر العباسي، ذلك أنه، أخذ بمعطيات الحضارة القديمة، مع المحافظة على الأطر الجديدة للشعر، فقام مذهبه بالتالي على الجمع بين عناصر عدة هي العقل والوجدان والزخرفة، مع الآخذ بعين الاعتبار خصائص العربية ومحتوياتها. وبناء على هذه المنطلقات التي قام عليها شعره، انطلق في اختياراته، فجمع ما رآه الأفضل بما يتلاءم مع معاييره العالمية.

لا شك أنّ الشاعر أبو تمام كان من الشعراء العلماء، إذ اعتبرت مختاراته الشعرية من أحسن الدراسات الأدبية، حيث كان من شأنها أن تضع أبا تمام إلى جانب العلماء أمثال الأصمعي، والمفضل الضبّي، وخلف وغيرهم من أجلّة علماء اللغة والأدب، وقد كان من هذه المختارات

كتاب الاختيارات من أشعار القبائل: يشمل مختارات من أغاني القبائل.

كتاب الاختيارات من أشعار الشعراء: يشمل مختارات من أغانٍ لشعراء لا يُعرف عنهم إلّا القليل.

الفحول: يشمل مجموعة من أجود قصائد الجاهلية والإسلام وتنتهي بابن هرمة.

الحماسة: رتبها أبو تمام ضمن عشرة أبواب، وضمّنها عيوناً من الشعر العربي تعود لمختلف العصور، وهي المجموعة الوحيدة التي وصلت إلينا من مجموعاته جانب الوحشيات وهي الحماسة الصغرى.

اختيار المقطعات: قام بترتيبها على نسق الحماسة، لكنه بدأه بالغزل (١) .

تنقلات أبي تمام وطلبه للعلم :

ترعرع أبو تمام في الشام وتلقّى علومه فيها، وتردد على حلقات العلم في مساجد مدينة دمشق، حيث تفقّه في علوم الدين واللغة والشعر فيها، وهو الأمر الذي لربما كان مسؤولاً عن تحوّل مهنته من حياكة الثياب إلى حياكة الشعر، ويعرُف عن أبي تمام قصائد عدة مثل القصيدتين النونية والدالية اللتين نظمهما في مصر بعد نزوله في الفسطاط وإقامته في مسجد عمرو بن العاص، كما يُعرف عنه تنقله بين أغراض الشعر على اختلافها، فهذه قصيدته التي نظمها في رثاء عمير بن الوليد سنة ٢١٤هـ، وتلك قصيدة مدح فيها عبد الله الظاهر حاكم مصر، بالإضافة إلى ما كتبه من قصائد هجاء كان منها ما هجى به الشاعر يوسف السراج، وابن الجلودي الذي هو قائد من قوّاد المأمون

١_ أبو تمام حبيب بن أوس الطائي _حجازي حسين مهدي_ السودان: جامعة الخرطوم

وانتقل من مصر إلى دمشق فعندما لم يستطع المثول بين يدي المأمون في احدى زياراته للشام كما كان يرجو سافر إلى الموصل وبقي هناك لفترة من الزمن تنقَّل خلالها بينها وبين وطنه، ومن ثم ظهر في أرمينيا ومدح واليها خالد بن يزيد الشيباني، وارتحل فيما بعدها إلى بغداد، وذلك بعد وفاة المأمون عام ٢١٨هـ، حيث ازدهر شأنه في خلافة المعتصم فقد قربه إليه وأصبح أكبر شاعر جيء به للإشادة بأحداث خلافته التي كان منها فتح العمورية، وقتل الأفشين، والقضاء على ثورة بابك الخرمي، ويُذكر أنّه كان قريباً من بعض رجال الدولة أمثال محمد بن عبد الملك الزيات -وهو وزير المعتصم والواثق- وغيره، بالإضافة إلى أنّه استطاع نيل حظوة الواثق بعد المعتصم.

انتقل أبو تمّام بعد ذلك إلى خراسان ليمدح عبد الله بن طاهر، وفي طريق عودته مرّ بهمذان فأكرمه أبو الوفاء بن سلمة، إلّا أنّ الثلوج حبسته فيها فلم يستطع الانتقال منها لمدة طويلة، فانكبَّ على الكتب فألّف منها خمسة كان أهمها كتاب الحماسة، وهو الكتاب الذي دوّت شهرته به، ليعود بعدها إلى بغداد فيُعنى به الحسن بن وهب كاتب ابن الزيّات (١)

١_ جمالية التشكيل الشعري- أبو تمام أنموذجا _سمير عوجيف (٢٠١٤-٢٠١٥)الجزائر : جامعة أحمد بن بلة

موهبة أبي تمام الشعرية :

يُعدُّ أبو تمام من أبرز شعراء عصره، فقد تميز ببداهته الشعرية مجسداً إيّاها في سيره بطريقة خاصة وأسلوب متفرد، ولا شك أنّ تنقله في بلدان كثيرة يذكر منها الشام، ومصر، والعراق، وفارس، كانت سبباً إضافياً لجعله محط اهتمام الناس بما قدمه من شعر وتأليف في العصر العباسي فقد قال: بالشَّامِ أهلي، وبَغداد الهوى وأنا بالرَّقتين، وبالفسطاط إخواني وما أظنُّ النَّوى ترضى بما صَنعتُ حتى تُطوّحَ بي أقصى خَراسان خلَّفتُ بالأفق الغربيَّ لي سكناً قد كانَ عيشي به حُلواً بحُلوانِ ويُلاحظ اعتناء الأدباء قديماً أمثال الخارزنجي، وأبو بكر الصولي، وأبو العلاء المعري، والمرزوقي والتبريزي، بالإضافة إلى اللكثيرين من الأدباء والعلماء المعاصرين في تحليل وترتيب شعر أبي تمّام، فاجتُمع على أنّه خلّف وراءه الكثير الحسن والقليل الرديء، فيما نال المدح أكثر من ثلث ما كتبه، فقد مدح الكثير من الخلفاء، والأمراء، والورزاء، والشعراء، والقُوّاد وغيرهم في البلدان التي مرَّ فيها، وقد كتب أبو تمام ٥١٣ قصيدة يمكن تصنيف الأغراض الشعرية التي وردت فيها كالأتي (١) :

١٨٥قصيدة للمدح بين المطولة والقصيرة.

١٣٦ قصيدة للغزل .

٩٢ قصيدة للهجاء .

٣٥ قصيدة للمراثي

٣٠ قصيدة للمعاتبات

٢٢ قصيدة للأوصاف.

٨ قصائد للفخر

٥ قصائد للوعظ والزهد

١_مستويات القراءة الشارحة لديوان أبي تمام حتى نهاية القرن الخامس الهجري _بن الحسن عبد الرحمان الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد تلمسا

وفاته :

لقد تعددت الأقوال في تاريخ وفاة الشاعر أبو تمام، فلقد أجمع كل من محمد بن موسى، بالإضافة إلى أبو سليمان النابلسي أنه توفي في الموصل في عام ٢٣١هـ، وأضاف النابلسي أنّه

ولد عام ١٨٨هـ، لكنّعون بن محمد الكندي فقال خالفهم في تاريخ ولادته فقال إنّه كان عام ١٩٠هـ، فيما قال إنّه توفي في محرم عام ٢٣٢هـ .

وفيما يلي بعض أبيات الشعر التي قيلت في رثائه: فقد رثاه الحسن بن وهاب فقال:

سَقتْ بالموصل القَبرَ الغريبَا سحائِبُ يَنتحِبنَ لَهُ نَحِيبَا

إذا أطلَعنَهُ أطلَقنَ فيهِ شُعيبَ المُزنِ مُنبعقاً شَعيبَا

ورثاه علي بن الجهم فقال (١)

غاضَتْ بدائعُ فِطنَةِ الأوهامِ وعَدت عليهَا نكبَةُ الأيام

وغَدا القريضُ ضئيلَ شَخصٍ باكيا يشكو رَزِيتَهُ إلى الأقلام

١_أخبار أبي تمّام _ أبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ، الولايات المتحدة الأمريكية : جامعة نيويورك .

الفصل الاول : المرأة الحبيبة

عند الاطلاع على ديوان ابي تمام الطائي نلاحظ ان المرأة احتلت مكانة بارزة فيه ، فهي لم تبدُ في صورةٍ واحدةٍ بل في صورٍ متعددة ، ابرزها الحبيبة العاذلة اذ ان ابرز ما يمكن ملاحظته في حديث ابي تمام عن الحبيبة العاذله ارتباطها بالذات والفخر بها وبما حققته او ما سوف تحققه كما ان الحديث عنها مرتبط احيانًا بطرح حِكم تارة والترغيب في السفر تارةً اخرى ومن نماذج ذلك قوله في قصيدة يمدح بيا خالد بن يزيد بن مزيد ال يباني

سَرَت تَستَجيرُ الدَمعَ خَوفَ نَوى غَدِ. وَعادَ قَتاداً عِندَها كُلُّ مَرقَدِ

وَأَنقَذَها مِن غَمرَةِ المَوتِ أَنَّهُ. صُدودُ فِراقٍ لا صُدودُ تَعَمُّدِ

فَأَجرى لَها الإشفاقُ دَمعاً مُوَرَّداً. مِنَ الدَمِ يَجري فَوقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ

هِيَ البَدرُ يُغنيها تَوَدُّدُ وَجهِها. إِلى كُلِّ مَن لاقَت وَإِن لَم تَوَدَّدِ ١

فنلاحظ هنا انه وفر لعاذلته الصورة الجمالية المشتهاة ، كما وفر لها القلق والخوف من الفراق والرغبة في الوصال حيث ان الشاعر لم يظهر مشاعره هو ولم يعبر عن قلقه بل تحدث عن امل المحبوبة ومناها ومشاعرها حيث ذكر مشهد فراق المحبوبة ووداعها، وقد أمضت ليلها تبكي بحرقة وكأن الدموع شخص يُغيثيها مما هي فيه لكن ما خفف عنها أنّ ذلك الوداع لم يكن مقصودًا، وقد أشار إلى أنّ مجرى الدمع اتخذ من خدّها المورّد لونًا له بعد أن امتزج بدمها، بعد ذلك يصف الشاعر تلك المحبوبة، فوجهها الحَسَن كالبدر المنير الذي يلفت الأنظار إليه. كل ما قدمه الشاعر من اوصاف بحق هذه المحبوبة الجميلة وتوسلاتها له من اجل البقاء الا انه يضطر للرحيل في سبيل الهدف الذي يتقدم عنده على المرأة والحب فهو يقول :

١_ينظر ديوان ابي تمام

وَلَكِنَّني لَم أَحوِ وَفراً مُجَمَّعاً. ففُزتُ بِهِ إِلّا بِشَملٍ مُبَدَّدِ

وَلَم تُعطِني الأَيّامُ نَوماً مُسَكَّناً. أَلَذُّ بِهِ إِلّا بِنَومٍ مُشَرَّدِ

وَطولُ مُقامِ المَرءِ في الحَيِّ مُخلِقٌ لِديباجَتَيهِ فَاِغتَرِب تَتَجَدَّدِ

فَإِنّي رَأَيتُ الشَمسَ زيدَت مَحَبَّةً. إِلى الناسِ أَن لَيسَت عَلَيهِم بِسَرمَدِ ١

يبدو الشاعر في هذه الابيات وكأنه تحلى بقوةً عظيمة لا تقهرها الدموع ولا تؤثر بها توسلات محبوبته فهو لا يخضع لمشاعره وعواطفه ويجعلها حاجزًا تحول بينه وبين ما يريد تحقيقه وليس لديه سبيل يحميه من الضعف سوى ان يصمّ اذنيه عن نداء تلك الغادة الحسناء كما نلاحظ ان الابيات مقابله بين امرأة محبه ورجل طموح لا يقف امام طموحه حد .

ثم يبرر الشاعر إلى أنّ الفراق حدث لأنّ همّه كان أن يغترب ويجمع المال، ومع ذلك حتى بعدّ المشقة والتعب لم يذق طعم الراحة والسكينة، إلا أنه تغرّب لأنّ الغربة تجعل الآخرين يشتاقون إليه ويُقدّرونه، ويُدلل على ذلك بقوله إنّ غياب الشمس وطلوعها مرة أخرى وعدم بقائها مُشرقة طوال اليوم هو ما جعل الناس يحبونها،

نلاحظ ان ابا تمام قد بذل جهدًا كبيرًا في تلمس الحجج التي تؤكد صحه رأيه ، حيث نتسائل هنا هل يريد بهذا ان يقنع نفسه ام يقنع محبوبته بضرورة السفر ؟ أفلا تدل هذه الابيات على ما كان يقاسيه من صراع كبير بين رغباته كشخص أرهقه السفر فتشوق للراحه والهدوء ، وبين طموحه الكبير كشخصية تسعى الى الذروة التي ما فوقها ذروة من تحقيق الذات والتفوق على الاخرين وطرق جميع ابواب الرزق ؟ الا يدل هذا كله على محاولة الرجل إقناع نفسه بصيغه مسلكه وان في داخله صراعًا حادًا بين الاستقرار والترحل

١_ديوان ابي تمام

ان هذه المقدمة الغزلية تعد اجمل ما في القصيدة تتصرف فيما بعد عن الحديث عن القائد واستعراض انتصاراته .

ذلك ان هذا الجزء كما يبدو لنا يمثل الجانب الذاتي الذي عبر فيه ابو تمام عن موقفه من الحياة وتمثل ارتداده الى نفسه وخلوه اليها .

ومن الناحية الفنية نلاحظ اجاده ابي تمام في التعبير عن موقفه من تلك المرأة التي اعترضت طريقه بالدموع ولو عدنا الى البيت الاول نلاحظ استخدامه الفعل تستجير والاستجارة تعني طلب المساعده العاجلة فهي تطلب من الدمع ان ينقذها مما هي فيه من كرب فكأنها تستشفي به من خوفها ولهفتها على هذا الحبيب المغادر .

وان ابا تمام الذي عرف بتوليد المعاني والتفصيل فيها ، لا يقف طويلا امام هذا المعنى الذي قلب فيه معيار العشق وجعل المرأة هي التي تبكي على فراقه لا العكس ، ولكنه ينتقل الى الحديث عن جمالها الآسر فيجعلها مورده الخدين ويوجز حينما يجعلها قمرًا يبتسم ، فكأنه بهذه الصورة التي تعتمد الايحاء لا التفصيل يحررنا من النموذج المتداول في رسم تقاطيع المرأة ،وهو بعد ان يضعنا امام هذه الصورة الناطقة بالحسن ويعلن قراره بصم أذنيه عن نداء هذه الحسناء في سبيل ما يحقق له الهدف .

كذلك نشير هنا الى قوله (١)

ذكرتُك حتَّى كِدْتُ أنساكِ لِلَّـذي ... توقّـدُ مِنْ نيرانِ ذِكْرَاكِ في قَلْبي

بَـكيتُكِ لَمَّا مَثَّلَ النأْيُ بـالَهوَى ... كأَنْ لم يُمثِّـلْ بي صُدودُكِ في القُـرْبِ

وهَلْ كانَ لي في القُرْبِ عندك راحَةٌ ... ووَصْلُكِ سَهُمُ البَيْنِ في الشرقِ والغَربِ؟

بَلَى كانَ لي في الصَّبْـرِ عنك مُعَوَّلٌ. ... ومَنْدُوحَةً لولا فُضُولي في الحُبِّ

١_ تاريخ الادب العربي _ حنا الفاخوري _ المكتبة البولسية

فذكر حبيبته زادت من عذاب قلبه، ففي قربها مثل فراقها لم يجد سوى الرفض والصد، وكان الصبر المهرب والملجأ الوحيد للحد من ذلك الإسراف في حبها.

ولأبي تمام بيتين رائعين في الغزل يجريان على الألسنة في مقام ترديد الشعر المؤنس الخفيف. وقد ذهبا مثلا جاريا" (١) في قوله (٢)

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى. ما الحُبُّ إلاّ للحَبيبِ الأوَّلِ

كَمْ مَنْزِل في الأرضِ يألفُه الفَتَى وحَنِينُه أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ

ويتكرر موقف ابي تمام المتصف بالقوه في موقفه من العاذلة التي تريده ان يركن الى الراحه والاستقرار لانها اشفق عليه من اهوال السفر واخطاره، يقول عن ذلك:

الا بكرتْ معذورةً حين تعذلُ تعرُّفُني مِ العيشُ ما لستُ أجهلُ

أأتبّعُ ضنّكَ الامرِ والامرُ مُدبِر وأدفعُ في صدرِ الغنى وهو مقبلُ (٣)

ثم يتركها متجها الى الممدوح الذي يغدق عليه الثناء املاً في المال الوفير :

محمدُ يا أبن المستهلُّ تهللتْ عليكَ سماءٌ من ثنائي تهطلُ (٤)

١_الديوان، ابي تمام حبيب بن أوس الطائي شرح : إيليا الحاوي

٢_الشعر والشعراء في العصر العباسي_ مصطفى الشكعة

٣_ ديوان ابي تمام

٤_ المصدر نفسه

ويتكرر موقف ابي تمام المتصف بالقوه في موقفه من العاذلة التي تريده ان يركن الى الراحه والاستقرار لانها اشفق عليه من اهوال السفر واخطاره، يقول عن ذلك:

الا بكرتْ معذورةً حين تعذلُ تعرُّفُني مِ العيشُ ما لستُ أجهلُ

أأتبّعُ ضنّكَ الامرِ والامرُ مُدبِر وأدفعُ في صدرِ الغنى وهو مقبلُ (١)

ثم يتركها متجها الى الممدوح الذي يغدق عليه الثناء املاً في المال الوفير :

محمدُ يا أبن المستهلُّ تهللتْ عليكَ سماءٌ من ثنائي تهطلُ (٢)

١_ديوان ابي تمام

٢_ المصدر نفسه

ويبلغ به الغضب احيانا مبلغا يجعله يخاطب عاذلته بالقول في قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء :

كُفي وغاكي فانني لك قالي. ليستْ هوادي عَزْمَتي بتوالي (١)

ويهددها احيانا بقطع العلاقه اذا استمرت في العذل فيقول :

تقي جَمحاتي لست طوع مؤنّبي وليسَ جنيبي ان عَذَلْت بمُصحبي (٢)

اننا نقف عند هذه الابيات وعند غيرها في الديوان وهي كثيره على مفاضله بين الطموح والمرأة ، فهو يضع الحبيبة الجميلة الباكية على فراقه مقابل السفر والنصب الموصل الى الهدف ، فيفاضل بينهما ثم يختار الثاني ، وكأن احدهما لا يتحقق الا بغياب الآخر .

وهذه الثنائية التي يدور حولها شعر ابي تمام في المرأة ، هي جزء من ثنائية حكمت حياه ابي تمام ، التي تبدو متناقضة كتناقض العصر الذي عاش فيه ، فقد عاش شاعرنا موزعًا بين ثنائيات متداخلة ، فعزة النفس والاعتداد بالذات والافتخار بالقبيلة والاهل مقابل ذل السؤال والاضطرار للمديح طلباً للمال الذي كان شاعرنا بحاجه اليه ، وسلطان الموت الذي كان هاجس ابي تمام ، والذي يفسر كثره مراثي ابي تمام ، وولعه بوصف القتلى من الاعداء والاحباء وتلذذه بوصف الحياة القاتلة الملوثة بالدم ، مقابل الرغبة الدفينة في حياه ينهل فيها من يتابع اللذة والايمان بالقوة مقابل الخوف من الموت والعقاب ، والذي تظهره اشعاره في التوسل والتزلف للذين هجاهم خوفًا من انتقامهم ، احاطته بالحسّاد الذين ناصبوه العداء وطعنوه في فنه مقابل الاصدقاء الذين رفعوه واعتزوا بأستاذيته وغمروه بالحب والرعاية كل هذا جعل ابي تمام شديد القسوة حينا رقيق الاحساس رؤوفًا رحيمًا حينًا آخر .

١_ ديوان ابي تمام

٢_ الرسالة بين المتنبي وخصومة _تحقيق وشرح محمد ابو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي

اذا عدنا الى العصور القديمة نجد ان شعر الغزل عن المرأة قليل ويعود ذلك لعدة اسباب منها طابع الخجل والحياء في التعبير عن مشاعرها بالاضافة الى المعايير القيمية في المجتمع فأن تعبيرها عن هذه العاطفة وما يدور حولها من الغزل قليل وما سنراه تاليًا هو تصوير ما تعنيه من اقوال اللائمين والعذال ، ويرجح سبب قله الغزل الصادر عن المرأة في الشعر العربي الى خجلها ، فتكتم حبها في نفسها حتى يموت معها على ان المرأة كثيرًا ما تكتم شعور الحب حتى اذا مات محبوبها رثته فأذا الرثاء نوع من أنواع النسيب ، تلم فيه بكل ما كان يتمتع به محبوبها من الفضائل وكل ما تعشقه في هذا الرجل او تعشق الرجل من اجلها (١)

ونتعاطف مع امامة(٢) التي تحدثنا عن آلامها واوجاعها في الحب وتوجه الاتهامات الى حبيبها ابن الدمينة .الذي اتهمها بأنها من اشقته بحبها في مقطوعة سابقة على شعرها في حماسة سابقة عليها ، يقول ابن الدمينة (٣)

وانتِ التي كلّفتني دلج السرى وجون القطا بالجلهتين جثومُ

وانتِ التي قطعتِ قلبي حزازةً وقرفتِ قرحَ القلبِ وهو كليمُ

وانتِ التي احفظتِ قومي فكلهم بعيد الرضا داني الصدود كظيمُ

فأجابته امامة :

وانتَ الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمتّ بي من كان فيك يلومُ

وابرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضًا أرمي وانتَ سليمُ

فلو ان قولًا يكلِمُ الجسم قد بدا بجسمي من قولِ الوشاة كلومُ

١_الاسلوب : تأليف /احمد الشايب

٢_ . (ينظر : البيان والتبيين للجاحظ ٣٧٠/٣) تحقيق عبد السلام هارون _ مكتبة الخانجى _ القاهرة (امامة ، ويقال لها اميمة وهي امرأة من قوم ابن الدمينة كان هويها وهاج بها مده وصلها تجني عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم ، وتعاتبا طويلاً وكان

بينهما محاوبة شعرية .

٣_ شرح ديوان الحماسة

ومن الطريف ان تلك الابيات جاءت على وزن ورؤى المقطوعة السابقة لابن الدمينة ، وكأننا بازاء نقائض شعرية في شعر الحب والغزل وقد ابدعت الشاعرة عند تصويرها لو ان القول يجرح الجسم لظهر بجسمها جروح كثيرة من قول الوشاة

وان من اسوء ما تبلى به علاقه الحب العفيف هو شخصية "العاذل" او "العاذلة" التي تلوم على الشوق ولكن هل يجدي لومها ام لا ؟ ذلك ما تجيب عليه "وجيهة بنت اوس الظبية التي تتعرض لمعاناة اللوم ولكن ليس عليها اللوم ان احبت ارض عشيرتها وبغضت طرفاء القصيبة فنراها تقول (١) :

وعاذلةً تغدو عليّ تلومني على الشوقِ لم تمحُ الصبابةَ من قلبي
فما لي ان احببتُ ارض عشيرتي وابغضتُ طرفاءَ القصيبة من ذنبِ

١_شرح ديوان الحماسة للمرزوق

الفصل الثاني : المرأة الأم

للأم في أبنائها حاجات ، ولها عليهم حقوق حدثنا عنها الشعر بطرق مختلفة فقد جاءت النصوص متحدثة عن هذه الحقوق صراحةً ، او جاءت تحمل عتابًا للابناء او للشكوى منهم او هجاءً لهم لكونهم مقصرين في اداء حقوقها او لالحاق الأذى بها الامر الذي جعلها تشعر بخيبة أمل كبيرة في فلذة كبدها (١)، وفي ديوان الحماسة نجد أم "ثواب الهزائية " تشكو هذه الشكوى الآسية ،فنرى هذا البوح الموجع الحزين من عقوق ولدها في مفارقه بين ما فعلته الأم تجاه ولدها وما قابل به هذا الصنيع فتقول(٢) :

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه　　أم الطعام ترى في جلده زغبا

حتى إذا آض كالفحال شذبه　　أباره ونفى عن متنه الكربا

أمسى يمزق أثوابي يؤدبني　　أبعد شيبي عندي يبتغي الأدبا

فهي تشرح قصتها وهي تربي أبنها وكان ضعيفًا كالفرخ وقامت بأمره أتم قيام وعظم ما فيه معدته ولا يحسن شيء من أمر نفسه وما زالت به هكذا حتى كبُر واستقام أمره ووجد القوة باستصلاح احواله ، وبلغ مبلغ الرجال ، فأخذ يضربها ويهينها يريد بذلك تأديبها مثلما يزعم وتأديب المسن لا يجدي ولا يفيد (٣)

١_مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة _ العدد السادس عشر _ ١٤١٨ هـ _ ١٩٩٨م بحث حديث الشعر عن حقوق الآباء على الأبناء حتى نهاية العصر العباسي . للدكتور/ محمد عبد الجواد فضل

٢_ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي نشره / أحمد أمين وعبد السلام هارون

٣_شرح ديوان الحماسة للتبريزي دار القلم _ بيروت _ لبنان .

وكأنها اقبلت على إنسان غيره تخاطبه منكرة متعجبة : "أبعد المشيب يطلب تأديبي"

وهذا الكلام منها كالاشارة الى المثل المضروب السائر في الأمم :" من العناء رياضة الهرم "(١) ، أوليس عجيبًا أن تقدم (الأم) كل ذلك لإبنها ؟ وأعجب منه ردة فعله عليها بخاصة بعدما صار رجلاً متزوجاً .

١_ شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس)

المؤلف: يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت ٥٠٢هـ)

الفصل الثالث: المرأة الرمز

لقد كانت المرأة هاجس ابي تمام في حالتي امنه وحربه ، سعادته وشقائه ، فمدينة عمورية المنهزمة أمام جيوش المعتصم هي امرأة تتلون بحسب رغبته ، فتارةً هي ام مقدسة لم يستطع الروم حمايتها ، ولو خيروا لافتدوها بكل ما يملكون :

أُمٌّ لَهُم لَو رَجَوا أَن تُفتَدى جَعَلوا فِداءَها كُلَّ أُمٍّ مِنهُمُ وَأَبِ (١)

حيث يتضح من خلال هذا البيت المكانة العليا التي تتمتع بها الأم في ذهن أبي تمام فهو عندما اراد ان يعبر عن عظم المكانة التي تحتلها عمورية في قلوب أهلها جعلها امًا لهم انها الام الكبرى التي تفتدى بها الأم الصغرى فالوطن هو الأم الكبرى والام الصغرى وهي الأم الحقيقية فداء لها ، ولا شك ان الأمومة تحمل معاني العطاء والبذل والتقدير والاجلال وهو لا يكتفي بهذه الصورة حيث ينتقل من جعل عمورية امًا إلى جعلها جريئة لا تهاب الرجال ولا تسلم قيادَها إلا مرغمة لمن يستحقها واستعصاء هذه المدينة على الفاتحين يستدعي عنده صورة الفتاه العذراء التي رغبت عن الزواج حتى اتاها من ترضى به .

وبرْزةِ الوجهِ قدْ أعيتْ رياضتُهَا. كِسْرَى وصدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبِ

بِكْرٌ فَما افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ. ولا ترقَّتْ إليها همَّةُ النُّوبِ

حَتَّى إذَا مَخَّضَ اللَّهُ السنين لَهَا. مَخْضَ البِخِيلَةِ كانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ (٢)

وكانت المرأة ماثلة أمام ابي تمام في حاله الفرح في الانتصار والشماته بهزيمة العدو، فحين انتصر المعتصم على الروم وهدم عمورية التي انتشرت في ارجائها الجثث كان شاعرنا فرحًا جذلًا لهذا المنظر الذي عم المدينة واستدعت هذه الصورة التي اسعدته صورة جميلة مغمورة بالعشق متلحفة بالحب ، موشاة بالرقة وهي صورة ديار مية في عيني ذي الرمة فجعل ذلك الخراب القبيح ابهى في عينيه من صورة تلك الديار في عيني ذلك العاشق

١_ ديوان ابي تمام

٢_ المصدر نفسه

وقد اسكرة قبح الخراب الذي يشعر وهو يشاهده بالسعادة فسارع الى تشبيه حيطان عمورية الملطخة بدماء جنودها بديار ميه في عيني عاشق ذي الرمة تارةً وبالخدود الجميلة المخجلة تارةً اخرى بل هي عنده اجمل يقول (١) :

ما ربعُ ميَّة معموراً يطيفُ بهِ غَيْلاَنُ بْهَى رُبىً مِنْ رَبْعِهَا الخَرِبِ

ولا الْخُدُودُ وقدْ أُدْمينَ مِنْ خجَلٍ أَشهى إلى ناظِري مِنْ خَدها التَّرِبِ

سَماجَةً غنِيَتْ مِنَّا العُيون بِها عنْ كلِّ حُسْنٍ بدا أوْ منظر عجبِ

لقد نسينا في غمره حديثه عن ديار ميه وعن الخدود المحمره خجلاً منظر الدمار والموت ورائحه الجثث المتعفنة .

ويبدو ان استساغه المنظر القبيح الذي يجرد الانسان من انسانيته والتهليل للدمار والموت الذي يحقق الحياة والنصر للطرف الاخر قد راقَ المتنبي أيضاً ومن هنا نجده يقف في معركة الحدثْ عند جثث القتلى التي تناثرت حول جبل الاحيدب فيصفها بقوله مخاطبا سيف الدولة :

نثرتهم فوق الأُحَيْدِبِ نَثْرَةً كما نُثِرَتْ فوق العروس الدراهم (٢)

ولان القصيدة اغلى ما يملكه ابو تمام فانه قرنها كثيرا بالمرأة قال ذلك في ختام قصيدته التي مدح بها جعفر الخياط واومأ فيها الى العطاء وحثه عليه بالقول :

إلَيكَ بِها عَذراءَ زُفَّت كَأَنَّها عَروسٌ عَلَيها حَليُها يَتَكَسَّرُ

تُزَفُّ إلَيكُم يا بنَ نَصرٍ كَأَنَّها حَليلَةُ كِسرى يَومَ آواهُ قَيصَرُ(٣)

لقد حرص ابي تمام على ان يجمع لقصيدته كل عناصر الجمال لذلك شبهها بالعقد في جيد الحسناء فهي:

كَالدُرِّ وَالمَرجانِ أُلِّفَ نَظمُهُ بِالشَذرِ في عُنُقِ الفَتاةِ الرودِ (٤)

١_ ديوان ابي تمام

٢_ ديوان المتنبي

٣_ ديوان ابي تمام

٤_ المصدر نفسه

الفصل الرابع : المرأة الأخت

من العلاقات الانسانية الرائعة وصله الرحم العلاقة بين الاخوة والتي تختلف عن كل العلاقات الانسانية تتميز بطابع خاص ومعاني ارحب واوسع والاخت ترى في (أخيها او اختها) ولا تراه في غيرهما والشعر الذي جاء على لسان الاخت في ديوان الحماسة يعطينا صوره لتلك العلاقة فالاخت التي فُجعت بموت اخيها تنكر وتستوحش ان يبقى كل ما حولها كما هو وكانها ضاقت بها الاحزان ولم تسعفها روحها في اجتياز حاجز الانكسار لموت اخيها فاندفعت الى العالم حولها لعله يخفف من وطاه الوعي وعناء التفكير ويشاركها ، ولكن للأسف كل ما حولها يبقى في مكانه مما يعمق احساس الحسرة والالم وسبيل الرثاء ان يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والاسف والاستعظام (١) وذلك ما نحسه لدى الشاعرة زينب بنت الطثرية(٢) ترثي اخاها فتقول (٣) :

أرى الأثلَ مِن وادي العقيقِ مجاوري . مقيمًا وَقَد غالَت يزيدَ غَوائلُه

وتصف الشاعرة محاسن المرثى (على عاده الشعراء) في ذلك وتصف باوصاف معنوية واخرى حسية، فنحن نلمح في كلامها شخصية ذات بُعد انساني وسياسي واقتصادي

فالبعد الانساني في انه كريم ، اذا نزل به الاضياف قام بنفسه في اقامه القرى لهم حتى انه ليصبح احيانًا شخصاً عذورًا سيء الخلق من الحاجة وتشدده على اهله ليعدوا المطاعم فهو معطاء يجب ان يقدم افضل ما عنده وبأسرع طريقة وكذلك اذا اشتد الزمان وشمل القحط واشتد البرد كان له جازوران ينحران ونار عظيمة (٤) :

فَتىً قدّ قدّ السيف لا متضائلٌ. وَلا رهلٌ لبّاته وَبآدلُه

إذا نزلَ الأضياف كَانَ عَذوّرًا ًعلى الحيّ حتّى تستقلّ مَراجلُه

١_العمده في محاسن الشعر _ابي الحسن بن رشيق القيرواني _ حققه/ محمد محي الدين عبد الحميد

٢_المرزوقي حاشية

٣_المصدر نفسه

٤_ المصدر نفسه

وقولها :

ترى جازرَيهِ يرعدانِ وناره عَليها عداميل الهشيمِ وَصامِلُه

حتى انه من ابعاد تلك الشخصية الانسانية الواعية تفقده لجارته فالجارات على ذلك لا تتخطاها اشغاله المزدحمة ولا يغض العناية بها الاسباب المتراكمة ، بل قد وصى بها وبامثالها فيتفقدن بأوفر الانصباء عند قسمه الجزور :

يُجران ثنيًا خيرها عظم جارة بصيرًا بها لم تعد عنها مشاغله (١)

ومن عاطفة الحب النبيلة من اخت لاخيها معبرة عن مكنون مشاعرها وحالتها عندما نعى اخوها واصفة لحاله من خصومه وجلسائه نقف مع عمرة بنت مرداس ترثي اخيها عباسًا فتقول (٢) :

أَعينيّ لَم أختلكما بِخيانةٍ. أَبى الدهرُ وَالأيّام أَن أَتصبّرا

وَما كنتُ أَخشى أَن أَكونَ كَأَنّني. بعيرٌ إِذا يُنعى أُخيّ تحسّرا

تَرى الخصم زوراً عن أخيّ مهابة وَليسَ جليس عَن أخيّ بِأزور

ونقف مع الشاعرة صفية الباهلية التي فرّت من مواجهة الزمان وفاءت الى صورة الماضي الجميل تتفيأ ظلاله الوارفة وتتنسم عبيره الطيب هذا الماضي الذي بدد الدهر فقد كانت هي واخوها كغصنين طالا وتشعب من اصل واحد في ابها صورة واعز مكان حتى فعل الدهر وافعاله فاهلك اخاها الواحد والذي كان معها وسط اهليهما كالقمر فماذا فعل الدهر بالقمر ؟ وكيف عبرت هي عن ذلك؟ لنستمع الى نحيبها تقول : (٣)

كُنّا كَغُصنَينِ في جُرثومَةٍ بَسَقا حيناً عَلى خَيرِ ما يُنمى لَهُ الشَجَرُ

حَتّى إِذا قيلَ قَد طالَت عُروقُهُما وَطابَ غَرسُهُما وَاِستَوسَقَ الثَمَرُ

أَخنى عَلى واحِدٍ رَيبُ الزَمانِ وَما يُبقي الزَمانُ عَلى شَيءٍ وَلا يَذَرُ

كُنّا كَأَنجُمِ لَيلٍ وَسطَها قَمَرُ. يَجلو الدُجى فَهَوى مِن بَينِنا القَمَرُ

١_كتاب شرح حماسة أبي تمام للفارسي – باب المراثي – المكتبة الشاملة

٢_ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي

٣_ينظر . شرح ديوان الحماسة للمرزوقي

وفي موقف اخر اختارت حنين النوق الواهلة صورة ومثلًا لنساء بني سليم :

يَحنُنَّ بَعدَ كَرى العُيونِ. حَنينَ والِهَةٍ قَوامحُ (١)

ومن الواضح في النصوص السابقة التي جاءت على لسان الاخت هي من فن الرثاء كما نفهمه "بكاء الميت" والتفجع عليه واظهار اللوعة لفراقه والحزن للموتى ، وعد خلاله الكريمة التي يروع الاعداء فقدها والإشادة بمناقبه وشمائله ويدور في فلك ذلك ايضا طلب الثار لموته فهذه ام عمرو بنت وقدان(٢) تطلب من قومها واخوتها ان ياخذوا بثأره او يضع السلاح وياخذ المكاحل والمجاسد فتقول (٣) :

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا نقب النساء فبئس رهط المرهق

ألهاكم ان تطلبوا بأخيكم أكل الخزير ولعق أجرد أمحق

وفيما اعلم ان هذا النص جاهلي بدليل طلب الثأر الذي كان عادة سيئة في الجاهلية بالاضافة الى ان هذا النص ياخذنا الى ملمح اجتماعي في الحياة العربية القديمة وهو ان اخذ الدم يقوم به الرجال ليس النساء وان من لا يفعل ذلك ويعدم القدرة عليه ينبذ من محيطه وعشيرته ، فالاخت التي كانت تبكي لفراق اخيها وتذكر محاسنه هي ايضا من تحاول ان تكمل الصوره بطلب الثأر له (٤)

١_ينظر . قراءه في الشعر القديم

٢_شاعرة جاهلية تاريخ دمشق لابن عساكر١٣ / ٦١ _دار الفكر_بيروت ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م .

٣__شرح ديوان الحماسة للمرزوقي

٤_ يراجع . شرح ديوان الحماسة للمرزوقي

الفصل الخامس

أ_المرأة الزوجة

لم يقتصر اهتمام الشعراء بالمرأة بجانبها المادي الجسدي ، فقد التفتوا الى ما تحمله المرأة من جمال روحي واخلاق وشيم كريمة فالمرأة العربية امرأة تحترم انسانيتها فقد كانت تدير شؤون منزلها كأي امرأة حتى وان كانت سليلة حسب او نسب ، وقد حظيت الزوجة في الشعر الجاهلي بمكانه بارزة ربما تلي مكانه المرأة المحبوبة (١) ونجد ان الشعر الجاهلي قد رسم لنا صورة متكاملة واضحة المعالم اظهر فيها صفات المرأة العربية بوصفها شريكا للرجل ودائمًا اساسيًا لها تشاطره همومه واحزانه وتفرح لفرحه وتقف خلفه ليرتقي ويؤدي دوره المنوط به على اكمل وجه ومن صور الزوجة في ديوان الحماسه ما ورد على لسان مر بن محكان حين قال :

يا ربَّةَ البيت قُومي غَير صاغرةٍ ضُمِّي إليكِ رِحالَ القَومِ والقُربا

في ليلةٍ مِن جُمادَى ذَاتِ أَندِية لا يُبصر الكلبُ من ظلمائها الطُّنُبا (٢)

فمن اهم شيم العربي اكرامه للضيف في حله وترحاله والزوجه الصالحه هي من تعين زوجها على الكرم وحسن الضيافه لذلك نرى الشاعر يطلب من زوجته ان تكرم ضيوفه وتستقبلهم في بيتها وتغدق عليهم من عنايتها فقد حلوا بارضهم في ليلة باردة ظلماء وعلى هذه الزوجه زوجها واطاعته وهذه من شيم المرأة العربية .

ويقول شاعرًا آخر:

ما أنا بالساعي إلى أم عاصم لأضربها إني إذاً لجهول

لك البيت إلا فينة تحسنينها إذا حان من ضيف على نزوله (٣)

ونجد ان هذه الصورة لا تختلف عن سابقتها في احترام المرأة وكيانها بوصفها ربه البيت وصاحبه السلطة فيه فهي شقيقه الرجل ومساويه له في المكانة فعلى الرغم من قدره الرجل وسيادته على البيت فانه يترك لزوجته حريه التصرف في البيت والعنايه به الا وقت قدوم الضيوف فهو المكلف الاول باكرامهم وتقديم الخدمه لهم .

١_ المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام ، مهنّا ، احمد ، ماجستير

٢_ شرح ديوان الحماسة لابي تمام / التبريزي

٣_ المصدر نفسه

ودائما ما كان يدعو الشاعر العربي زوجته لتحثه على الكرم وحسن الضيافة لما لها من طيب الذكر عند الخلق جميعا في حال حياته وبعد وفاته ومن ذلك من قاله عمرو بن الاهتم لزوجته ام هيثم :

ذَريني فَإِنَّ البُخلَ يا أُمَّ هَيثَمٍ. لِصالِحِ أَخلاقِ الرِجالِ سَروقُ

ذَريني وَحُطّي في هَواي فَإِنَّني عَلى الحَسَبِ الزاكي الرَفيعِ شَفيقُ

وَإِنّي كَريمٌ ذُو عيالٍ تَهُمُّني نَوائِبُ يَغشى رُزؤُها وَحقوقُ (١)

وكأني بالشاعر ينكر على زوجته حثه على البخل وغل اليد الى العنق والبعد عن الاسراف فهو فارس عربي من شيمه الكرم والجود فان الشح يزين للانسان العذر الكاذب والعلل الباطلة فكانه يسرق كل اخلاقه الحميدة (٢)

ان رقي مكانه المرأة الزوجة في الجاهلية جعلت كثيرا من الشعراء يفتحون قصائدهم بذكرها ويتودون اليها ويحاولون استرضائها بوصفها في حلها وترحالها ومن ذلك ما جاء من خطاب حاتم الطائي لزوجته ماوية بنت عبد الله حين قال :

أَيا اِبنَةَ عَبدِ اللهِ وَاِبنَةَ مالِكٍ وَيا اِبنَةَ ذي البُردَينِ وَالفَرَسِ الوَردِ

إِذا ما صَنَعتِ الزادِ فَالتَمِسي لَهُ أَكيلاً فَإِنّي لَستُ آكِلَهُ وَحدي (٣)

ومن المعروف ان حاتم الطائي كان مثالاً للكرم العربي الذي لم يجاريه فيه احد حتى وانه يخاطب زوجته بضروره ايجاد احد ليشاركه الطعام فما كان معتاداً على تناول الزاد وحده وبذلك نجد ان صوره المرأة المشاركه لزوجها في تفاصيل يومه وحتى في بعض صفاته المعنوية الكرم والشجاعه والمروءة كانت حاضره جداً في ديوان الحماسة وهذا ما يدل على اهتمام العربي بأخلاق العرب واشراكه لزوجته فيها .

١_ شرح ديوان الحماسة لابي تمام / التبريزي

٢_ المصدر نفسه

٣_ المصدر نفسه

وعلى عاده الزوجة في كل الأزمنة كثيرًا ما كانت تحث زوجها على الاعتدال في الانفاق والبعد عن الاسراف الذي يولد الفقر والفاقة فالمرأة تخشى على نفسها وعيالها من اسراف زوجها ومبالغته في اكرام الضيوف واغابه الملهوف لذلك كثر الشعر الذي يتحدث عن محاولات الزوجة ثني زوجها عن الكرم ومن ذلك ما قاله عبد الله بن الحشرج الجعدي :

ألا بكرت تلومك أم سلمٍ وغير اللوم أدنى للرشاد

وما بذلي تلادي دون عرضي بإسرافٍ أميم ولا فساد(١)

على الرغم من مكانه المرأة العربية عند زوجها الا انه لم يكن يصغي الى قولها في تحريضه على البخل والبعد عن الاسراف فقد تعود عاده وكل امر سيجري على عادته في الكرم ومن ذلك ايضا قول سوادة اليربوعي :

لقد بكرت مي على تلومني تقول ألا أهلكت من أنت عائلة

ذريني فإن البخل لا يخلد الفتى ولا يهلك المعروف من هو فاعله (٢)

فالشاعر الجاهلي دائم البحث عن حسن الصيت والذكر والمتمعن في بعض قصائد شعراء العرب في الجاهلية وما بعدها يجد تحولًا كبيرًا في نظره المرأة لحسن الضيافه فبعد ان كانت تحث زوجها على كف اليد وغلها الى العنق اصبحت هي من تحثه على الكرم والجود وحسن الاستقبال واعداد الزاد لطارق الليل ومن ذلك ما قالته زوجه قحطان العنبري في ردها عليه ببذله وجوده :

حلفت يمينًا يا ابن قُحطان بالذي تكفّل بالارزاق بالسهلِ والجبلِ

فأعطِ ولا تبخل بمن جاء طالبًا فعندي لها حطمٌ وقد زاحت العللِ (٣)

١_ شرح ديوان الحماسة لابي تمام / التبريزي .

٢_ المصدر نفسه

٣_ المصدر نفسه

فرب السماوات والارض رازق الحوت في البحر هو المتكفل بأرزاق الخلق فلا خوف على عباد ربهم الله فالزوجة تحث زوجها على العطاء وبسط الكف فما عنده من خير هو من رزق الرزاق ، الذي يضاعف المعطي وكأنها تقول انفق ولا تخش من ذا العرش اقلالًا .

فالزوجة كانت حبيبة ، وأم عيال ، وشريكة حياة ، تقول فيسمع قولها ، وتشير فينظر في رأيها ، وتحاور زوجها بحرية فيحاورها حوارًا هادئًا فيه من الود والمحبة ما فيه وهذا ينم عن مكانة مرموقة للمرأة في مجتمعها بوصفها ركنًا أساسيًا من اركان المجتمع العربي قديمًا .

ب_الغانية :

المرأة الغانية يقال ان الغانية هي التي يستغني زوجها بجمالها عن النظر الى غيرها ، كما يقال الغواني جمع غانية وهي التي تستغني بزوجها عن الرجال وقيل هي التي تغنى بمحاسنها عن التزين بالحلي وقال ابو عبيدة هي المتزوجة (١)

وقد اكثر الشعراء من وصف الغواني حتى لقب احدهم _مسلم بين الوليد_ بصريع الغواني هذا يدل على ان صاحب الشعر كان متيمًا يغريه الجمال بالفتنة ... والمرأة (٢)

ومن ذلك ما جاء على لسان المساور بن هند بن زهير حيث قال :

وأرى الغواني بعدما أوجهني. أعررضن ثمت قلن شيخٌ أعور

ورأين رأسي صار وجها كلّه إلّا قفاي ولحية ما تضفر

ورأين شَيخا قد تحنى ظَهره يمشي فيقعس أَو يكب فيعثر (٣)

١_شرح ديوان الحماسة لابي تمام ، التبريزي

٢_قصائد العشق والجمال في الشعر العربي ، الطّباع ، عمر

٣_ شرح ديوان الحماسة للتبريزي – جامع الكتب الإسلامية_ التبريزي، أبو زكريا، شرح ديوان الحماسة للتبريزي

نرى ان الشاعر يصف لنا شيخوخته وكيف أن الحسناوات من الغواني لم يعد لهن رغبه به فقد انحنى ظهر وشاب شعره حتى اصبح شيخًا اعورًا وهذه الغانية بما لديها من حسن وجمال صارخ لن تلتفت لشيخٍ اعور احدب الظهر .

ومنه ما جاء على لسان باعث بن صريم بن يشكر حيث قال في معرض قصيدته :

وخمار غانية عقدت برأسها ... أصلاً وكان منشرا بشمالها

وعقيلة يسعى عليها قيم ... متغطرس أبديت عن خلخالها (١)

ونجد الشاعر يخبرنا بقصه هذه الحسناء التي سُبيت فذهب بكل شجاعه وبسالة لتحريرها فلما رأته اطمأنت وكشفت خمار رأسها والمرأة الحرة لا تنزع خمارها الا في حاله حزن شديد او حرب تخشى فيها على نفسها من الاسر

فقد وصف باعث بن صريم هذه الغانية التي نزعت خمارها فبرزت من خدرها حاسرة الرأس منشورة الخمار .

وبعدها وصف لنا كريمة الحي وزوجها وكيف قامت بالهرب عند بدء الغار حتى انها رفعت من ساقيها فظهر خلخالها وكل ذلك من شده ما يواجهها من الخوف والرهبة وقت الغارة اذ تكون المرأة مشدوهة مضطربة الفؤاد فلا تلتفت لنفسها حاسرة ام مغطاة الرأس (٢) فتخرج من شده خوفها دون الالتفات لشيء فتتساوى بذلك الحرة بالأمة وكريمة الاصل بالخدم .

١_شرح ديوان الحماسة لابي تمام ، التبريزي

٢_مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة

الخاتمة :

لا نخفى على احد صورة المرأة في الادب عامةً وفي الشعر خاصةً فالمرأة ملهمة الشعراء وزينة القصائد والتأريخ الادبي خير شاهد على ذلك فبنظره عاجله على الشعر العربي في العصر الجاهلي لا تخطئ العين صورة المرأة البارزة والجلية في اشعار الجاهليين ويكفي ان ما من معلقةٍ من المعلقات العشر _وهي اجود عشر قصائد في الشعر الجاهلي_ الا واستهلت بالحديث عن المرأة والوقوف على اطلالها المندرسة والبكاء على فراقها.

وجاء الاسلام ولم يتخلى الشعراء كليةً عن هذا المبدأ فترى المقدمات الطللية والغزلية عند شعراء صدر الاسلام الذين عاصروا الرسول _ صلى الله عليه واله وسلم_ امثال حسان بن ثابت شاعر الرسول _صلى الله عليه واله وسلم _وكعب بن مالك وغيرهما فبعد ان سبرنا اغوار ديوان الحماسة للشاعر ابي تمام وتتبعنا ملامح المرأة في مختاراته بوصفها لبنٌ اساسية في المجتمع وصنوًا للرجل كما قال عنها الرسول محمد_ صلى الله عليه واله وسلم_ النساءُ شقائقُ الرجال نخلص الى ان المرأة قد احتلت مكانة متميزة في شعر شعراء العرب ونستطيع ان نقول ان المرأة هي الركيزة الأساسية في معظم الشعر الجاهلي سواء قصد الشاعر المرأة بقصائد مستقلة ام رمز غزله بها من خلال مشاهد عديدة منها الطلل وارتحال الضعائن وغيرهما من المشاهد .

وقد تعددت صور المرأة في ديوان الحماسة حيث امتدت صورها في الديوان بابوابه كافة بين اشعار انشدتها بنفسها او ما جاء على لسان شقيقها الرجل وظهرت صورة المرأة فيه على عده اشكال منها المحبوبة المستهامة والزوجة المشاركة لزوجها في تفاصيل حياته والعاذلة له على اسرافه وتبذيره او تهوره والقائه بنفسه الى التهلكة والغانية التي تغتني بجمالها والنادبة النائحة البكاءة وقد تكررت صورة المرأة العاذلة بشكل لافت للغالية مما يشير بشكل او باخر الى طبيعة الحياة العربية التي تفتقد الى الاستقرار فقد اكثر العربي من الترحال بغيه البحث عن الكلأ والماء مما جعل من المرأة حصنًا يواجه تقلبات الرجل والحياة التي يحياها وتحاول جاهدة رده عن الكثير من الامور _التي من وجهه نظرها_ لا عائد لها وقد حافظت المرأة العربية على مكانتها رغم ما تعرضت له من اضطهاد في بعض جوانب حياتها ولكنها استطاعت ان تشارك الرجل في حربه وسلمه وحزنه وفرحه وكانت خير معين له على قضاء حوائجه لذلك تنفي هذه الدراسة المقولة الشائعة ان العربي كان يتخذ من المرأة اداة لتفريغ اهوائه او انها كانت كالرحال تحل اينما حل بعلها فقد سادت المرأة في الجاهلية وعظمت سيادتها بمجيء الاسلام الذي رفع قدرها زوجا واما واختًا واعطاها مكانةً لم تكن لها لولا دين الرحمة .

المصادر والمراجع

(١) أخبار أبي تمّام، أبو بكر محمد بن يحيى الصوليّ (٢٠١٥)، الولايات المتحدة الأمريكية : جامعة نيويورك

(٢) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي _حجازي حسين مهدي_ السودان _جامعة الخرطوم

(٣) الأسلوب / تأليف احمد الشايب

(٤) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجى _ القاهرة . (أمامة ، ويقال لها اميمة وهي امرأة من قوم ابن الدمينة كان هويها وهاج بها مده وصلها تجني عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم وتعاتبا طويلاً وكان بينهما محاوبة شعرية .

(٥) تاريخ الأدب العربي _ حنا الفاخوري المكتبة البولسية

(٦) تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) (الطبعة السادسة عشر) _الدكتور شوقي ضيف

(٧) جمالية التشكيل الشعري _سمير عوجيف _ أبو تمام أنموذجا، الجزائر : جامعة أحمد بن بله ١

(٨) الديوان، ابي تمام حبيب بن أوس الطائي شرح : إيليا الحاوي

(٩) ديوان ابي تمام الجزء ٣

(١٠) الرسالة بين المتنبي وخصومة تحقيق وشرح محمد ابو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي

(١١) سير أعلام النبلاء الطبعة الثانية عشر _ ابو تمام

(١٢) شرح ديوان الحماسة

(١٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي

(١٤) شرح ديوان الحماسة للتبريزي

(١٥) الشعر والشعراء في العصر العباسي_ مصطفى الشكعة

(١٦) العمدة في محاسن الشعر _ابي الحسن بن رشيق القيرواني _ حققه/ محمد محي الدين

(١٧) قصائد العشق والجمال في الشعر العربي ، الطّباع ، عمر

(١٨) المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام ، مهنّا ، احمد ، ماجستير

(١٩) مستويات القراءة الشارحة لديوان أبي تمام حتى نهاية القرن الخامس الهجري، الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

(٢٠) مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة _ العدد السادس عشر _ ١٤١٨ هـ _ ١٩٩٨م بحث حديث الشعر عن حقوق الآباء على الأبناء حتى نهاية العصر العباسي . للدكتور/ محمد عبد الجواد فضل